الطريق إلى الهند

محمود سالم

الطريق إلى الهند

تأليف
محمود سالم

هنـــداوي

الطريق إلى الهند

محمود سالم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: وجدان توفيق

الترقيم الدولي: ٤ ٢٦٩٣ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب عام ١٩٨٦.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٢.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي.
جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي محفوظة لأسرة السيد الأستاذ محمود سالم.

المحتويات

من هم الشياطين الـ «١٣»؟	٧
أبطال هذه القصة	٩
رحلة هادئة!	١١
موعد مع الخطر	١٥
عالم غريب!	١٩
«رام»!	٢٣
الجزيرة الملعونة!	٢٧
صراع النمور!	٣١
صراع لا ينتهي!	٣٥
صراع في الجو!	٣٩

من هم الشياطين الـ«١٣»؟

إنهم ١٣ فتًى وفتاةً في مثل عمرك، كلٌّ منهم يُمثِّل بلدًا عربيًّا. إنهم يقفون في وجه المؤامرات الموجَّهة إلى الوطن العربي ... تمرَّنوا في منطقة الكهف السِّري التي لا يعرفها أحد ... أجادوا فنون القتال ... استخدام المسدسات ... الخناجر ... الكاراتيه ... وهم جميعًا يُجيدون عدة لغات.

وفي كل مغامرةٍ يشترك خمسة أو ستة من الشياطين معًا ... تحت قيادة زعيمهم الغامض رقم «صفر» الذي لم يرَه أحد، ولا يعرف حقيقته أحد.

وأحداث مغامراتهم تدور في كل البلاد العربية ... وستجد نفسك معهم مهما كان بلدك في الوطن العربي الكبير.

أبطال هذه القصة

رقم «١»: «أحمد» من مصر.

رقم «٢»: «عثمان» من السودان.

رقم «٣»: «إلهام» من لبنان.

رقم «٤»: «هدى» من المغرب.

رقم «٥»: «بو عمير» من الجزائر.

رقم «٦»: «مصباح» من ليبيا.

رقم «٧»: «زبيدة» من تونس.

رقم «٨»: «فهد» من سوريا.

رقم «٩»: «خالد» من الكويت.

رقم «١٠»: «ريما» من الأردن.

رقم «١١»: «قيس» من السعودية.

رقم «١٢»: «باسم» من فلسطين.

رقم «١٣»: «رشيد» من العراق.

رقم «صفر»: الزعيم الغامض الذي لا يعرف حقيقته أحد!

رحلة هادئة!

نجح الشياطين الـ «١٣» في كسب ثقة «يوجاراجا» زعيم عصابة تهريب «الهيروين» إلى مصر ...

دخل «عثمان» السجن، واستطاع بدهاء أن يقنع «يوجاراجا» أنه مهرِّب مثله ... ثم ساعده على الهرب من السجن، حيث ذهب للإقامة في منزل بعيد على شاطئ بحيرة «قارون»، حيث تصوَّر أنه في مأمنٍ من رقابة الشرطة ... التي كانت بالطبع تراقبه ليل نهار.

واتفق «أحمد» مع «يوجاراجا» أن يذهب إلى الهند لجلب كمية كبيرة من «الهيروين» ... وأنه بعد عودته سوف يتمكَّن من تهريبه إلى خارج مصر ... ومعه ثروة ضخمة ...

وارتاح «يوجاراجا» إلى هذا الحل ... ومنَح «أحمد» كامل ثقته، وقال له الكثير عن عصابة «مهارشا» التي يتبعها ... وهي أكبر عصابة لتهريب «الهيروين» والأفيون إلى مصر ...

ثم قام «يوجاراجا» بنزع دبُّوس ثَمِين كان قد أخفاه في شعره وأعطاه لـ «أحمد»، وقال له إن زعماء العصابة فقط هم الذين يحملون مثل هذا الدبوس ...

وقال له إن مقر العصابة يقع في المسافة بين «الهند» و«سيريلانكا» في منطقة جسر آدم ... وإن كلمة السر هي «ماهاويلي» ... وإن العصابة هناك سوف تزوده بالهيروين دون أن يدفع شيئًا ... على أن يدفع لها الثمن بعد تهريب المخدرات وبيعها في القاهرة ...

ترك الشياطين المهرِّبين الثلاثة في منزل بحيرة «قارون» وعادوا إلى القاهرة، ومعهم كَنز ثمين من المعلومات ... واتصل «أحمد» برقم «صفر»، وطلب منه الموافقة على سفره مع «بو عمير» و«رشيد» للقيام بالتعرف على العصابة الرئيسية والتعامل معها ...

رد رقم «صفر»: خذوا راحة لمدة ثلاثة أيام ... ثم ضعوا خُطة واعْرِضوها علينا ... إنَّ لنا عميلًا ممتازًا في «مادراس»، وهي أقرب مدن الهند الكبيرة من «سيريلانكا»، ضعوا في اعتباركم أن تتلقوا مساعدة طيبة منه.

قضى الشياطين الـ «١٣» الأيام الثلاثة في السفر بين القاهرة و«بحيرة قارون» ... فقد كان «أحمد» حريصًا على الحصول على أكبر قَدْر من المعلومات من «يوجاراجا» ... عن وسائل الاتصال بالعصابة، وأفضل طرق التهريب ... وعن حجم الصفقة التي يطلبها من عصابة «مهارشا».

وكان «يوجاراجا» سعيدًا بهروبه من السجن ... وهكذا كتب رسالة إلى العصابة يوصي فيها بـ «أحمد»، ويحكي عن المساعدة التي حصل عليها منه ... وأنه يعيش الآن حياة سعيدة بعد أن عجزت الشرطة عن الوصول إليه ... وأنه سيستأنف نشاطه بعد عودة «أحمد» ومساعدته على الخروج من مصر ...

في اليوم الثالث كانت خطة الشياطين جاهزة ... ودخل «أحمد» غرفة اللاسلكي ودق الرسالة التالية:

«من «ش. ك. س» إلى رقم «صفر»: أسافر مع «بو عمير» و«رشيد» إلى الهند ... محطتنا النهائية هي «مادراس» حيث نقابل عميلنا هناك، عندنا وسائل الاتصال بعصابة «مهارشا» حيث نسلِّمهم خطاب توصية من «يوجاراجا».

سنسعى إلى جمع أكبر كمية من المعلومات عن العصابة، وسنبلِّغكم بها أولًا بأول بواسطة العميل ... ليست هناك تفاصيل يمكن تقديمها الآن ... ولكن حسب الظروف التي سنمرُّ بها، سنتصرف ... نرجو الحصول على إذن من السلطات المصرية بأخذ بعض الأسلحة معنا.»

بعد ساعتين من الرسالة وصلت موافقة رقم «صفر» مع تمنياته بالتوفيق. أما الأسلحة فقال إنهم سيتسلَّمونها في الهند.

على الفور قامت «إلهام» بحجز تذاكر الطائرة على شركة مصر للطيران المسافرة إلى «دلهي» عاصمة «الهند»، حيث يركبون الخطوط الداخلية من «دلهي» في الشمال إلى «مادراس» في الجنوب على شاطئ المحيط الهندي.

وفي السابعة صباحًا من اليوم التالي كان الشياطين الثلاثة يستقلُّون طائرة مصر للطيران من طراز «جامبو» العملاقة في الطريق إلى الهند ...

كان «أحمد» يضع الدبوس الذهبي المرصَّع بالجواهر وخطاب «يوجاراجا» في كيس صغير من الجلد في جيبه الداخلي ... فقد كان مِفتاح التعامل مع عصابة «مهارشا» ... ولم يكن معهم أسلحة حسب تعليمات رقم «صفر» ... لأنهم سوف يتسلَّمونها من العميل في «مادراس».

مضت الرحلة هادئة حتى أشرفوا على جبال الهند العالية ... ووقعت الطائرة الضخمة في عدد من المطبَّات الهوائية، ولكن القائد البارع استطاع أن يتجاوزها دون صعوبات تُذكر ... وبعد نحو عَشْر ساعات من الطيران المتصل، أعلن كابتن الطائرة عن الهبوط في مطار «دلهي» الدولي.

لم يكن في انتظارهم أحد ... وقال المسئولون في مطار «دلهي» إن الطائرة المتجهة إلى «مادراس» ستُقلِع بعد ثلاث ساعات.

تجوَّلوا في مطار «دلهي» حتى حان موعد إقلاع طائرة الخطوط الهندية الداخلية في رحلتها إلى «مادراس» ... وأسرع الشياطين الثلاثة إليها ...

بعد نحو ساعتين كانت الطائرة تهبط في مطار «مادراس» وقد هبط الليل ... وكان الشياطين الثلاثة يحسُّون بقَدْر من الرهبة؛ لأنهم مُقبِلون على مغامرة غريبة في عالم غريب ...

اتصل «أحمد» من تليفون المطار بعميل رقم «صفر» الذي رد على الفور ...

قال «أحمد»: إننا أصدقاء!

رد الرجل: إن عندي تعليمات بخدمة الأصدقاء.

أحمد: هل دبَّرت مكانًا للمبيت؟

الرجل: طبعًا ... فيلَّا منعزلة على شاطئ المحيط.

أحمد: كيف نصل إليها؟

الرجل: خارج المطار سيارة من طراز «فيات» صفراء رقم ٧٧٠٧٧٧ (م) ... السائق يُدعى «أمين» وسوف يقوم بكل الخدمات ... قولوا له «شاملال» أرسلنا.

وضع «أحمد» سمَّاعة التليفون، ثم عاد إلى «رشيد» و«بو عمير» واتجه الثلاثة إلى خارج المطار ... بحثوا في موقف السيارات، وشاهدوا السيارة «الفيات» الصفراء، وتأكَّدوا من الأرقام ... ووجدوا السائق واقفًا بجوار السيارة ... اتجه إليه «أحمد» وقال له: مساء الخير ... إن «شاملال» أرسلنا.

رد السائق بأدب: إنني في الخدمة.

وقفز الثلاثة إلى السيارة وانطلقت بهم في ليل «مادراس» المظلم ... ظلت السيارة تسير نحو ساعة بسرعة متوسطة حتى خرجت من حدود المدينة، وأشرفت على المحيط ... وبعد مسيرة ربع ساعة أخرى وصلوا إلى غابة من أشجار جوز الهند والنباتات الاستوائية ...

سارت السيارة بجوارها فترة، ثم انحرف السائق داخلًا إلى شاطئ المحيط ... وظهرت فيلَّا قديمة على الشاطئ ... مُضاءة بأنوار خافتة.

موعد مع الخطر

قال «أحمد»: إنها تشبه الفيلَّا التي نزلنا فيها أثناء قيامنا بمغامرة «روكو العبيط» وهو شيء يدعو إلى التفاؤل.

وظهرت سيدة عجوز ولكن قوية، ورحَّبت بهم بلغة إنجليزية جيدة، وقالت إنها مسئولة عن الفيلَّا ... وإنها تقوم بكل الخدمات.

رد «أحمد»: لقد تناولنا طعامًا خفيفًا في الطائرة، وكل ما نحتاجه هو إبريق من الشاي!

وانسحبت العجوز في هدوء ... ووجد الشياطين الثلاثة ملفًّا أصفر اللون مغلقًا بالشمع الأحمر، ومكتوبًا عليه «مهارشا»، وفهم الشياطين أن «شاملال» أعد هذا الملف بناء على تعليمات رقم «صفر».

كان الملف يحوي معلومات مرعبة عن العصابة الهندية ... فهي عصابة ضخمة تنتشر في جنوب شرق آسيا كله ... ولها أعوان في كل مكان. وتستَخدِم جميع الوسائل في عمليات التهريب العالمية التي تقوم بها. وعندها خُبراء في استخراج الهيروين ... وأفران ومعامل خاصة بذلك في مناطق معزولة لا يصل إليها إنسان ...

وجاء ضمن المعلومات أن العصابة تستخدم الفِيَلة الضخمة في حمل الأفيون خلال الغابات الكثيفة ... كما تستخدم السُّم في اغتيال أعدائها. وعندها أمهر الرماة الذين يستخدمون الخناجر والسِّهام المسمومة التي تقتُل من تُصيبه على الفور ...

وقدَّم التقرير معلومات لا بأس بها عن المعامل التي يتم فيها تحويل الأفيون إلى «هيروين» ... وعن بعض أعوان العصابة، أمَّا زعامة العصابة فتتركز — كما تقول الشائعات — في رجل هندي كان يعمل بحَّارًا في سفن التهريب ... واستطاع بجسارته وقسوته أن يتزعَّم مجموعة من البحارة والمهرِّبين سيطروا على خطوط الاتصال الداخلية

والخارجية لتهريب الأفيون أولًا ... ثم انطلق بعد ذلك ليهرب «الهيروين» والاسم المعروف له هو «رام» ... وهو اسم يبعث الرعب في القلوب لما ارتبط به من قصص البطش والقتل والإرهاب ...

جلس الشياطين الثلاثة يتناقشون ... كانت قضية استعمال السُّم قضية خطيرة ... ومن الممكن القتل به دون ضجَّة ... وهم سيصارعون عصابة دولية لا مجال فيها إلا التخلص من العدو ... مهما كان ... ورغم أن الشياطين درسوا السموم في «ش. ك. س» ... لكن التهديد الخفي بالموت عن طريق السم بعث في نفوسهم قدرًا من الرهبة.

قال «رشيد»: كُنا في حاجة إلى «عثمان» ... إنه أكثرنا خبرة بالسموم، ثم إن كُرته الجهنمية ممكن أن تكون عونًا لنا في هذا الصراع!

أحمد: معك حق ... وفي الصباح سوف نرسل لرقم «صفر» ليرسله لنا على وجه السرعة.

ذهب الشياطين الثلاثة إلى أسرتهم ... وفي الصباح كانوا في حالة أفضل، حتى إنهم ابتسموا عندما تذكَّروا حديث الليل عن السُّم ... وما بعث فيهم من رهبة، وقام «أحمد» بالاتصال بـ «شاملال» وطلب منه الاتصال برقم «صفر» لإرسال «عثمان»!

وجاءت اللحظة الحاسمة ... عندما أخرج «أحمد» رسالة «يوجاراجا» ... المرسلة إلى الزعيم الهندي ...

كانت هناك خمسة أرقام للتليفون يمكن أن يتصل بها ... وطلب الرقم الأول ... ورد على الفور ... كان العنوان لمحل يبيع المشغولات الثمينة ... من حُليٍّ ومجوهرات، والقطع الفنية المصنوعة من سِنِّ الفيل ...

وقال «أحمد»: إنني زبون قادم من مصر ... أحمل لك تحيات «يوجاراجا».

صمَت المتحدِّث لحظات ثم قال: إنني لا أعرف أحدًا بهذا الاسم!

أحمد: آسف جدًّا ... لعل الرقم خطأ ... ولكنه قال لي أن أطلب ... «مهاويلي»!

و«مهاويلي» هي كلمة السر التي أعطاها «يوجاراجا» لـ «أحمد» فلما استمع المتحدث إلى الكلمة قال: نعم ... إنني أتذكَّر هذا الشاب!

أحمد: لقد قال لنا إنه في الإمكان أن نجد عندكم صفقة جيدة من المجوهرات يمكن بيعها مرة أخرى.

المتحدِّث: أعتقد أنه من الممكن أن تجد هذه الصفقة ... لماذا لا تحضر إلى المحل؟

أحمد: أعطني العنوان ... وحدِّد الموعد.

عاد المتحدِّث إلى الصمت لحظات ... وكان من الواضح أنه يتحدث مع شخص بجواره ثم عاد يقول: إن العنوان هو ١٦ شارع «لال» قرب ميدان «مادراس» الرئيسي في قلب المدينة.

أحمد: والموعد؟

رد الرجل على الفور: هذا المساء في الثامنة.

أحمد: أشكرك كثيرًا.

وضع «أحمد» السماعة ثم قال: موعدنا في الثامنة ... ولكننا سنذهب الآن!

وفهم الصديقان ما يقصده «أحمد»، فهو يريد أن يدرس المكان قبل أن يذهب إليه ...

كانوا قد تناولوا إفطارهم وشربوا الشاي، ثم خرجوا حيث كان في انتظارهم السائق «أمين» في سيارته «الفيات» المتهالكة ...

ألقى «أحمد» إلى السائق بالعنوان فقال: إنه في قلب المدينة يا سيدي.

أحمد: هل تعرف المحل؟

صمت السائق قليلًا ثم قال: نعم!

أحمد: لماذا لم تجب على الفور؟

أمين: إنه مكان سيئ السمعة يا سيدي، وبعض الناس يقولون إن بضاعته مغشوشة!

أحمد: إنه لن يستطيع أن يَغُشنا ... لقد جئنا من طرف صديق له.

أمين: كان الله في عونكم يا سيدي.

وانطلقت السيارة حتى وصلت إلى زحام المدينة المخيف، ونزل الشياطين من السيارة في الميدان وطلبوا من «أمين» انتظارهم.

ومشوا حتى وصلوا إلى شارع صغير يُشْبه الثعبان — كما وصفه السائق — ثم دخلوا إلى زحام شديد، حيث كانت روائح البهارات الهندية تجعل الإنسان يحس أنه في مطبخ وليس في شارع.

اقتربوا من المحل ... كان يشغل مكانًا في عمارة قديمة سوداء اللون من الأتربة ... وكانت واجهة المحل الزجاجية قد اختفت تقريبًا خلف الباعةِ المتجوِّلين الذين كانوا يزحمون الطريق.

وداروا حول المحل بضع دوراتٍ، ثم عادوا إلى الميدان ...

وقال «رشيد»: شيء مثير هذا العالم!

أحمد: إن الهند قارة، أو شِبه قارة، فيها مئات اللغات، ومئات المعتقدات ... وحضارة قديمة ... وموارد طبيعية متنوعة، إنها عالم بأكمله!

وفجأة خطرت ببال «أحمد» فكرة، فاتَّجه مع زميليه إلى أقرب صيدلية وقال للصيدلي: أريد دواءً سريع المفعول للوقاية من السُّم!

وابتسم «رشيد» و«بو عمير» فقد كان هذا هو المطلوب.

عالم غريب!

في المساء ذهب الشياطين الثلاثة مرة أخرى إلى ميدان «مادراس» ... كانت حركة المرور على أشُدِّها ... خاصة من راكبي الدراجات الذين يعدون بالألوف ... وطلب «أحمد» من «رشيد» أن يبقى خارج المحل للمراقبة ... بينما اتجه مع «بو عمير» إلى شارع «لال» ...

استقبلهما رجل نحيل القامة ... لامع العينين ... يغطي أصابعه بالخواتم الفضية ... في وجهه أثر جُرح غائر يكاد يقطع خدَّه إلى نصفين.

قدَّم نفسه قائلًا: خادمكما «سنج»!

قال «أحمد»: إن «ماهاويلي» يبلغك سلامه.

أحنى الرجل رأسه في خضوع شديد ثم نظر حوله مرارًا ... كان المحل يشبه سردابًا طويلًا، على جوانبه الواجهات الزجاجية التي تحوي الصخور الطبيعية الملونة ... وقد غطَّى الزجاج بها عشرات من أنواع الأحجار الكريمة ...

لم يكن هناك إلا رجل آخر في نهاية المحل، يجلس أمام الخزينة، وكان منهمكًا في استخدام «حاسب إلكتروني» صغير ... من خلفه ستائر حمراء ثقيلة ... كان المكان كله يعبق برائحة البخور ... ويلفه جو من الغموض المثير ... أشار لهما الرجل أن يتبعاه ... فمرَّا داخل المحل، ثم فتح الرجل الستائر الحمراء، ومضى أمامهما في ممر مظلم عُلقت على جُدرانه أنواع من الأسلحة البيضاء غالية الثمن ... ونزلا بضع درجات ... ووقفا أمام باب دقَّه «سنج» برقَّةٍ ثم تركهما يدخلان، واختفى.

وجدا نفسيهما في غرفة واسعة مزدحمة بعشرات الأشياء ... مضاءة بنور خفيف، وفي نهايتها مكتب ضخم جلس إليه رجل ضخم أيضًا، غزير شعر الرأس واللحية والشارب ... حتى لا يبدو منه غير أنفه المعقوف، وعيناه السوداوان ...

قال الرجل: مرحبًا يا صاحبي!

رد «أحمد»: مرحبًا.

الرجل: فهمت أنكما تعرفان «مهاويلي»!

أحمد: نعم!

الرجل: وماذا أيضًا؟

أحمد: معي رسالة إلى «مهارشا»!

ومد «أحمد» يده بالرسالة إلى الرجل ... الذي فتحها وأخذ يقرؤها بعناية ثم قال: عظيم ... والآن، ماذا أستطيع أن أقدِّم لكُما؟

أحمد: كمية من البضاعة!

أخذ الرجل يعبث بشاربه لحظات ثم قال: كم معكما؟

أحمد: لا نملك شيئًا ... ولكن طُرقنا في مصر سالكة ... ففي إمكاننا الدخول بالبضاعة وتوزيعها!

الرجل: وكيف تعود النقود؟

أحمد: لنا عملاء يمكنهم تحويل أي مبلغ إليكم هنا.

عاد الرجل يعبث بشاربه، وهو يرمقهما من تحت جَفنين ثقيلين، ثم مد يده إلى جهاز التليفون، وأدار ظهره حتى لا يرى «أحمد» و«بو عمير» الرقم الذي طلبه، ثم تحدث سريعًا باللغة الهندية ... وسمعا كلمة «مهاويلي» تتردد مرات، ثم وضع الرجل السماعة، وقام واقفًا وقال: هيا بنا.

كانت مفاجأة لـ «أحمد» و«بو عمير»؛ لأن «رشيد» كان في انتظارهما بالخارج، ولكن الرجل لم يُضِع وقتًا؛ فتح بابًا خلفه وسار معه وأخذ الدهليز الذي ساروا فيه يصعد تدريجيًّا حتى وصلوا إلى «جراج» مُغلق، اصطفت فيه بضع سيارات وسرعان ما سمعوا صوت محرك يدور، ثم أقبلت ناحيتهم سيارة ضخمة من طراز «مرسيدس ٤٥٠» من طراز قديم، وركب الرجل بجوار السائق وأشار لـ «أحمد» و«بو عمير» فركبا في المقعد الخلفي، ثم انطلقت السيارة ناحية باب «الجراج» الذي فتحه أحد الحراس، وغادرت السيارة الجراج إلى طريق جانبي ساكن ثم خرجت إلى الميدان.

انطلقت السيارة في زحام المدينة نحو ساعة، ثم بدأت طريقها وسط المزارع الكثيفة حول «مادراس» وانطلقت كالوحش في طرقات مظلمة تحفُّها الأشجار واستمرت تسير بسرعة عالية حتى وصلوا إلى شاطئ المحيط ... ونزل الرجل وقال: هيا.

نزل الصديقان، ودخل الرجل إلى طريق جانبي أدى إلى مرسى صغير، وقفت فيه ثلاثة زوارق، بدت كأشباح خرافية بلونها الأسود، ومشى الثلاثة على ممر خشبي ودخلوا أحد القوارب ... وألقى الرجل ببعض التعليمات باللغة الهندية، وسمع الصديقان صوت محرك الزورق يدور، ثم ينطلق ولكنه لم يخرج إلى المحيط، بل اتخذ طريقًا حلزونيًّا بين مجموعة من الجزر ثم انحرف داخلًا إلى قناة لا يكاد أحد يستطيع رؤيتها من الخارج، وسار فيها مسافة طويلة ثم توقَّف عند نهايتها ... وعلى ضوء المشاعل الكثيرة التي كانت مشتعلة في المرسى الصغير الذي توقَّفوا فيه لاحظَ الصديقان عددًا من الفيلة الضخمة تقف بالقرب من الشاطئ تحت الأشجار ...

أسرع عدد من حُرَّاس الفِيَلة بالتقدُّم بفيلين ضخمين أشار الرجل إلى أحدهما وقال: اركبا.

وساعد الحرَّاس «أحمد» و«بو عمير» على ركوب الفيل، وعندما أصبحا فوقه همس «بو عمير» في أذن «أحمد»: ما هذا؟

أحمد: إجراءات أمنٍ ... إنها عصابة رهيبة!

بو عمير: ما يقلقني هو «رشيد»!

أحمد: سينضم إليه «عثمان» بعد ساعات، وقد نجد وسيلة للاتصال.

بو عمير: لا أعتقد أن هناك أية وسيلة اتصال في هذا المكان المنعزل!

سار الفيل يتبع الفيل الأول في مدقات داخل غابة كثيفة ... وكانت أصوات حيوانات الغابة ترتفع كلما اقترب الفيل من عُشِّ طائر من الطيور ... أو من شجرة عليها قردة ... وكان صوت زئير النمور، يهدر بين حين وحين ... وأحس الصديقان أنهما دخلا عالمًا لم يمر بهما مثله من قبل ... عالم لا يمكن الفكاك منه ...

ووصل الفيل إلى منعطف كبير، وبدأت الأشجار تخف نسبيًّا، وشاهدا أضواءً كهربائية ضعيفة تظهر بين الأشجار معلَّقة في ارتفاع بيت كبير ...

توقف الفيل خلف الفيل الأول ... ثم مشى الصديقان خلف الرجل في ممرٍّ طويل نصف مُضاء ... تحيطه أشجار جوز الهند ... ثم وصل الجميع إلى ساحة واسعة في وسطها قصر غريب المنظر مبني من الخشب، ومطليٌّ باللون الأحمر القاني وحوله رجال مسلَّحون.

صَعِدوا الدرجات الخشبية ... وفُتح باب القصر ... وهبَّت رائحة البخور القوية تملأ المكان.

أشار الرجل إلى مقعدين في الصالة فجلس «أحمد» و«بو عمير» بينما اتَّجه الرجل إلى باب في جانب الصالة دقَّه، ثم دخل وأغلق الباب ...

أخذ الصديقان يتأملان المكان ... كان مؤثثًا على الطريقة الهندية ... بالوسائد الحريرية والمقاعد الخشبية والتماثيل الضخمة، وقد عُلِّقت على جُدرانه أنياب الفيلة، ورءوس النمور المحنَّطة وجلودها ... وكانت السيوف الفضية، والذهبية، والخناجر المخيفة تلمع على الجُدران ... وسمعا حركة ما ... وصوت أقدام ثقيلة يأتي من دهليزٍ في أحد جوانب الصالة ... وظهر نمران ضخمان تلمع عيونهما الذهبية، وكان أحد الحراس يمسك بلجام من الجلد ويسير خلفهما ... نظر النمران ناحية «أحمد» و«بو عمير» وأطلقا صوتًا خافتًا مثل صوت الرعد المكتوم.

«رام»!

ظهر الرجل بعد قليل وقال: إن السيد «رام» لن يستطيع مقابلتكما الليلة ... ستقضيان الليلة هنا في القصر الصغير وستقابلانه غدًا في الصباح.

قال «أحمد»: إننا نفضِّل أن نقضي الليلة في المدينة ونأتي في الصباح.

هز الرجل رأسه وقال: إن الطريق طويل كما ترى ... ومن الصعب العودة بكما مرة أخرى ... إن السيد «رام» هو الذي يُصدر الأوامر هنا ... وهذه أوامره.

ثم أشار لهما أن يَتْبعاه ... وخرج من باب جانبي إلى الحديقة المظلمة ... وعلى ضوء المشاعل قادهما إلى مبنًى صغير قريب من القصر، وفتح أحد الحرَّاس الباب ... ودخلا خلفه ... كان قصرًا صغيرًا حقًّا ولكنه ... مفروش ببذخ شديد ... يكاد يكون صورة طبق الأصل من القصر الكبير ... وقال لهما الرجل: في المطبخ كل الطعام الذي تريدانه.

ثم مدَّ يده إلى شريط مُعلَّق وقال: وإذا شئتما أي شيء، فشُدَّا هذا الشريط.

ثم انحنى لهما بالتحية، وتركهما وخرج ...

قال «بو عمير»: لا أثر لأي تليفون هنا!

أحمد: طبعًا ... من المؤكد أنهم يتصلون باللاسلكي من القصر!

بو عمير: إن أية محاولة للهرب مقضِيٌّ عليها بالفشل.

أحمد: إننا لم نأتِ هنا لكي نهرب ... سننتظر ونرى!

دخلا إلى المطبخ، فوجداه على أحدث طراز ... ووجدا من أنواع الطعام ما سمح لهما بعشاء فاخر ... وكانت الساعة قد اقتربت من منتصف الليل عندما ذهبا للنوم.

كانت هناك غرفة بها سريران، فاختاراها ... ووجدا بالدولاب ملابس حريرية للنوم ... وبدا كل شيء على ما يرام ثم استلقَى كلٌّ منهما على فراشه.

فجأة سمعا في وقت واحد تقريبًا صوت أقدام ... ثم سمعا زمجرة النمرين ... وساد الصمت لحظات ... ثم عادت الأقدام مرة أخرى تمرُّ تحت نافذة الغرفة، وعرفا أنهما محروسان جيدًا ... وبدأت أجفانهما تثقل والنوم يدبُّ في جفونهما ... ولكن «أحمد» أحسَّ بشيء غريب ... إنه لا ينام كما اعتاد أن ينام ... إنه شِبْه مخدَّر ... هناك رائحة غريبة تنتشر في الغرفة ... ورفع رأسه فأحس بثقل شديد ... ثم فتح عينيه بجهد، ونظر إلى «بو عمير» الذي كان في هذه اللحظة ينظر إليه أيضًا.

حاول «أحمد» أن يفتح فمه ليتحدث، ولكن فمه المفتوح لم يخرج منه أي صوت ... وكذلك حاول «بو عمير» ... وأدرك «أحمد» كما أدرك «بو عمير» أن ثمة غازًا مخدِّرًا ينتشر في جو الغرفة ... وحاول كلاهما أن يقوم من مكانه ليفتح النافذة ... واستطاع «أحمد» أن يتقلب في فراشه ليسقط على الأرض، كان يحاول بكل ما بقي له من إرادة السيطرة على جسمه حتى يصل إلى النافذة ... وكان يحاول بكل ما بقي له من إرادة السيطرة على ذهنه أيضًا لكي يتصرف بتعقُّل.

أخذ «أحمد» يتقلَّب على الأرض ... ويلف حتى استطاع أن يصل إلى النافذة ... وبجهد جبَّار رفع نفسه إلى مستوى مقبض النافذة، وأداره بهدوء ... ولكنه لم يفتح النافذة تمامًا ... لقد اكتفى بفتحها فتحة بسيطة ... ولكن كانت كافية لدخول الهواء النقي إلى الغرفة.

واستلقى في مكانه وهو يلهث ... كان متعبًا جدًّا، كأنه قد جرى مسافة طويلة ... وكان يدرك أن العصابة تحاول استجوابهما تحت تأثير المخدِّر ... حيث تتلاشى الإرادة ... ويفقد الإنسان السيطرة على عقله وجسده ... إنهما بالتأكيد تحت تأثير الحشيش.

بدأ الهواء النقي يتسلَّل إلى الغرفة تدريجيًّا ... وبدأت آثار التخدير تزول تدريجيًّا أيضًا ... واستطاع «أحمد» أن يصل إلى فراش «بو عمير».

قال له: إنهم يحاولون تخديرنا ... وأعتقد أنهم سيطلبوننا الآن لمقابلة «رام» ... تظاهر بأنك تحت تأثير المخدِّر ... إنهم يشكُّون فينا ... وسنروي نفس القصة ... إنني كنت مع «يوجاراجا» في السجن، وإنني أنقذته ... وفي نفس الوقت سمعا صوت أقدام تقترب ... وأسرع «أحمد» إلى فراشه ... وتظاهر ... كما تظاهر «بو عمير» أنه في سبات عميق ... ولكن قبل ذلك أغلق النافذة تمامًا.

فُتح الباب في هدوء، وظهرت أنوار المشاعل ... وتقدَّم رجلان من «أحمد» و«بو عمير» وأخذا يهزانهما في عُنف وقال أحد الرجلين: هيا ... إن السيد «رام» يريد أن يراكما الآن ...

تظاهر «أحمد» و«بو عمير» بأنهما لا يستطيعان الوقوف ... ولكن الرجلين عاملاهما بعُنف، ثم أمسك كل واحد منهما بذراع أحد الصديقين ... وجراهما إلى الخارج.

دخلا إلى القصر الكبير، ولكن من بابٍ خلفي مختفٍ بين الأشجار الضخمة ... وسمعا زمجرة النمرين الضخمين ... ثم أُدخلا إلى غرفة واسعة خافتة الضوء، وشاهدا لأول مرة الزعيم «رام».

كان «رام» أبعد ما يكون عن الصورة التي رسمها الشياطين له ... فقد كان رجلًا شديد الأناقة نحيفًا وطويلًا، وكان يرتدي ملابس أوروبية ... شعره أسود ينسدل على كتفيه ... حاد الأنف ... نافذ النظر ... وكان واقفًا ...

أشار «رام» إلى الرجلين وتحدَّث إليهما بالهندية، فسحبا «بو عمير» وذهبا به إلى غرفة أخرى ... بينما بقي «رام» و«أحمد» وحدهما.

كان «أحمد» يجلس على كرسي مُتظاهرًا بأنه في شِبه غيبوبة تحت تأثير المخدر ... وأخذ «رام» يسدِّد إليه نظراته النارية النافذة ... ثم قال: كيف حالك أيها الشاب؟

تردد «أحمد» لحظات كأنه لا يسمع ... فعاد الرجل يقول: إنك بالطبع ستقول لي الحقيقة ... أين «يوجاراجا»؟

تظاهر «أحمد» بأنه يُحاول التذكر ... ثم أخذ يردد: «يوجاراجا» ... «يوجاراجا» ماذا حدث له؟

قال «رام» بنعومة ولكن بحسم: إنه في السجن طبعًا!

أخذ «أحمد» يتظاهر بأنه لا يتذكر ثم قال: كان في السجن ... نعم ... كان في السجن ... كنت معه في السجن.

رام: وماذا حدث؟

أحمد: لقد هربنا من السجن ... إنه الآن في فيلَّا ... «الطير البري» على بحيرة قارون في مصر ...

كتب «رام» كلمات على الورق ... ثم سمع «أحمد» جرسًا عميقًا يدق، وظهر أحد الحراس ... سلَّمه «رام» الورقة ثم تحدث معه في لهجة آمرة ... وأحنى الرجل رأسه في احترام ثم غادر الغرفة.

وبعد لحظات دخل النمران يتبعهما المدرِّب الخاص ... وأسرعا إلى «رام» وأخذا يداعبانه، وهو يمدُّ يده يربت على رأسيهما ... ثم أشار إلى «أحمد» وأصدر لهما أمرًا ... اقترب النمران من «أحمد» وأخذا يحومان حوله ... ثم اقترب أحدهما من «أحمد» ودفعه بيده الضخمة فاهتز الكرسي وكاد «أحمد» أن يسقط أرضًا ...

عاد «رام» يتحدث إلى المدرِّب ... فسحب النمرين وخرج ... وجاء أحد الحراس وسحب «أحمد» الذي كان يتظاهر بأنه لا يستطيع الوقوف على قدميه ...

عاد «أحمد» إلى الحجرة ... ثم تبعه «بو عمير» بعد نحو نصف ساعة ... وتحدثا همسًا ... لقد تم استجواب «بو عمير» بنفس الطريقة واستسلما للنوم ...

الجزيرة الملعونة!

عندما استيقظا في صباح اليوم التالي ... كانت الشمس تغمر المكان ... وخرجا إلى الصالة ... ووجدا خادمًا انحنى لهما باحترام وقال بلغة إنجليزية سليمة، إنني في خدمتكما!

قال «بو عمير»: إفطار خفيف ... وشاي.

واختفى الرجل في هدوء ... وبعد أن اغتسلا عادا إلى الصالة ... وكان طعام الإفطار معدًّا ...

بعد نصف ساعة ظهر رجل طويل القامة أشعث الشعر ... يبدو كأنه لم يحلق شعره طول حياته ... يحمل خنجرًا ضخمًا على بطنه البارزة ...

قال الرجل في لهجة حاسمة: عندكما برنامج اليوم لزيارة المزارع ... هل أنتما على استعداد؟

أحمد: نعم.

الرجل: إذن هيا بنا.

خرجا إلى ضوء النهار الذي كان يتسلل من خلال الأشجار العالية ... وكانت هناك ثلاثة فيلة قفز كل واحد منهم على فيل منها ... وانطلقت الأفيال داخل الغابة ...

لم يرَ «أحمد» في حياته مثل هذا التنوُّع العجيب في الغابة ... تنوع الأشجار والحيوانات ... أما الناس فقد كان يراهم عن بُعد ... وكانوا يختفون بمجرد ظهورهم ... وكان الرجل الضخم يسير في المقدمة وخلفه «بو عمير» ثم «أحمد»، وكانت الفِيَلة تعرف طريقها فلم تتوقف لحظة واحدة وسارت تقطع ممرَّات الغابة بخطوات مدربة حتى أشرفت على مزارع واسعة تُحيطها الغابات من كل جانب.

واشْتَمَّ «أحمد» كما اشْتَمَّ «بو عمير» رائحةَ الأفيون النفَّاذة، ثم خرجا من الغابة وتوقفت الفيلة عند كوخ خشبي ... وأشار الرجل الضخم إلى المزارع وقال: هذه أكبر مزارع في العالم لزراعة الأفيون ... ومن يرها إما أن يكون مخلصًا أو يموت!

وبالطبع فإن «أحمد» و«بو عمير» لم يكونا مخلصين لهذه العصابة، فمصيرهما حسب كلام الرجل ... هو الموت!

كان «أحمد» يدرس كل شيء ... ويحاول أن يجد منفذًا ... فما زال أمامه هو و«بو عمير» مهمة صعبة ... للغاية وخطيرة جدًّا، ولكن هذه المهمة تتوقف على أن يظلا أحياء.

لقد تصورا في البداية أنهما سيتسلمان البضاعة جاهزة ... ويعرفان التركيب الداخلي للعصابة، وكيفية القضاء عليها ... ولكن من الواضح أن المسألة ليست بهذه البساطة ... فهذه العصابة العاتية ليس عندها وقت للعبث ... إما أن تكون مخلصًا ... أو تموت ...

نزلا إلى الأرض ... وسار الرجل أمامهما يشرح لهما طريقة زراعة نبات الخشخاش الذي يُستَخرج منه الأفيون الخام ... ثم انحرفا يسارًا إلى داخل الغابة، وشاهدا مجموعة من المباني، يرتفع منها الدخان، وأخذ الرجل يشرح لهما عملية تحويل معجون الأفيون الخام إلى هيروين!

كانت الأفران بُدائية، تعمل بالخشب ... وكان العاملون بها مجموعة من البؤساء يلبسون الملابس البالية ... ضعفاء ... جياع ... تبدو عليهم الذِّلة والمسكنة. وكانت الأفران تعمل ليل نهار ... في تحويل الأفيون الأسود إلى هيروين رمادي، كاد «أحمد» أن يشك فيما يرى ... كل هذه الكمية من الهيروين توزَّع في العالم لتحويل الناس من عقلاء إلى مجانين ... لتدمير صحتهم لقاء لحظات من السعادة الزائفة ... ولولا أنه كان متأكدًا مما يرى لظن أنه في حلم ... وأدرك أنه وقع على أخطر عصابة في مغامراته كلها ... عصابة مهمتها تدمير الناس وتحويلهم إلى عجزة ... وإلى مجانين.

كانت الرائحة المنبعثة في الجو قادرة على إدارة أي رأس ... وأحس «أحمد» و«بو عمير» بالدُّوار ... وطلبا أن يبتعدا قَدْر الإمكان عن الأفران ... كانا يريدان الاطلاع على كل شيء ... ولكن دون أن يصابا بالدوار ...

كانت جزيرة الأفيون واسعة ... تشمل مئات الأفدنة ... ولكن الأفيون كانت تتم زراعته في الداخل فقط ... أمَّا على حواف المزرعة ... فقد كانت هناك مزروعات تقليدية تُخفي عمن ينظر من البحر حقيقة ما يجري في الجزيرة.

عاد «أحمد» و«بو عمير» قرب الظهر وقد هالهما ما رأيا ... عصابة قوية منظمة ... في مكان بعيد عن العمران لا يمكن اكتشافه ... نمور مدربة على الحراسة ... رجال مسلحون، ثم هناك القتل بالسُّم الذي يمكن أن يتم في ثوانٍ قليلة.

جلسا في حديقة القصر يتحدثان، ومن بعيد كان الحراس المسلحون يمرون أمامهم ... والنمور المدربة مع مدربيها تتحرك بحرية حول القصرين ...

وقال «أحمد»: إنها مملكة كاملة!

بو عمير: ماذا سنفعل؟

أحمد: سنرى أولًا متى نتسلم البضاعة، ومتى نرحل ... إننا بالطبع سنعود.

بو عمير: يبدو لي هذا مستحيلًا!

أحمد: هناك مطار صغير خلف المزارع!

بو عمير: لاحظت ذلك من صوت طائرة هبطت هذا الصباح.

أحمد: إن هذا هو طريقنا الوحيد!

بو عمير: علينا إذن أن نتسلل ليلًا إلى المطار لندرسه عن قُرب ونرى نوع الطائرات التي به.

أحمد: سنفعل هذا ... رغم المخاطر الرهيبة.

قضيا بقية اليوم دون أن يتصل بهما أحد، وفي المساء حضر أحد الرجال وأخبرهما أن البضاعة جاهزة، ولكن خطة تهريبها من المطار إلى الخارج تستدعي بعض الوقت.

أحمد: ولماذا لا نعود إلى «مادراس»؟

الرجل: إن الزعيم سيتحدث إليكما مرة أخرى.

أحمد: متى؟

الرجل: إن الزعيم وحده الذي يحدد الموعد المناسب.

وتركهما الرجل وانصرف ... وهبط الظلام ... ثم حان موعد العشاء ... وبعده حانت ساعة النوم.

تظاهر «بو عمير» و«أحمد» أنهما أويا إلى فراشهما ... فقام «أحمد» بإطفاء الأنوار ... ثم تمدَّد كلٌّ منهما في فراشه متيقظًا ... يستمع إلى الأصوات الغريبة القادمة من الغابة في الليل ...

كان كل منهما ينظر إلى ساعته المُضاءة بين لحظة وأخرى ... وعندما أشارت العقارب إلى منتصف الليل أشار كل منهما للآخر.

قام «أحمد» في خِفَّة وهدوء إلى الباب ... وضع أُذنه على ثقب المفتاح وأخذ يستمع ... ثم مد يده في هدوء ليفتح الباب ... وكانت المفاجأة أن الباب مُغلق من الخارج ... كان لذلك معنًى واحد هو أن الزعيم «رام» لا يثق في قصتهم رغم الخطاب.

وتذكَّر «أحمد» في هذه اللحظة أن الدبوس الماس ليس معه ... أين تركه؟ هل سقط منه؟ إنه لا يتذكر شيئًا!

ذهب «أحمد» إلى النافذة، ووجد أن من الممكن فتحها، ولكنه كان متأكدًا أن حارسًا أو أكثر في انتظاره ...

مضى إلى المطبخ ... كان ثمة باب صغير يؤدي إلى ممر في الحديقة، وحاول فتح الباب فوجده مغلقًا أيضًا ... ولكنه قرَّر فتحه، أخرج مجموعة أدواته الدقيقة التي لا تفارقه، وأخرج بعض الأدوات، وسرعان ما كان يفتح الباب بهدوء ... وأطلق صيحة البومة ... وسرعان ما كان «بو عمير» بجواره.

أطل «أحمد» على الحديقة ... كانت أضواء النجوم البعيدة تكشف بعض أجزاء الممر المُعتم ... تسلَّل في هدوء شديد متلصصًا بجوار المطبخ وتوقف لحظات ينظر حوله ... كان كل شيء هادئًا؛ فأسرع بالوثوب إلى الخارج حيث التصق بشجرة ضخمة ... وتبعه «بو عمير»، ثم أسرعا بخفة يجتازان الممر إلى الغابة المظلمة ...

وخُيل إليهما أنهما استمعا إلى صوت زمجرة النمور المخيفة.

صراع النمور!

اختار «أحمد» و«بو عمير» طريق الشاطئ المكشوف رغم خطورته ... فالغابة أكثر خطورة ... وعلى الشاطئ يمكن أن يكتشفا أي شخص يطاردهما، أما في الغابة الكثيفة فمن الصعب رؤية أي شيء ... إضافة إلى مخاطر الحيوانات المتوحشة ... والأسهم السامة التي يمكن أن تطلق عليهما في الظلام.

كانا يجريان أحيانًا وينبطحان أحيانًا أخرى ... ثم يتوقفان لحظات لاسترداد الأنفاس ... واقتربا من مرسى اليخت الذي حملهما إلى الجزيرة ... ولاحظا على الفور أن اليخت يقترب من الشاطئ في نفس اللحظة التي وصلا فيها إلى هناك ... فاختبأ وراء الحشائش العالية حتى لا تكشفهما أضواء اليخت ...

وشاهدا مجموعة تنزل من اليخت ... وسمعا ما لم تصدقه آذانهما ... نعم ... سمعا صوت «عثمان» يتحدث!

وهمس «أحمد»: هل سمعت؟

بو عمير: نعم ...

أحمد: هل هذا معقول؟!

بو عمير: إنني لا أصدق أذني!

كان عدد النازلين من اليخت خمسة ... واستطاع «بو عمير» و«أحمد» على ضوء النجوم البعيدة أن يعرفا من بين الأشباح الخمسة ... شبح «عثمان» وشبح «رشيد».

قال «أحمد»: إنهما سيتعرضان لتجربة التخدير!

بو عمير: أكثر من هذا أن وجودهما قد يكشف عن غيابنا من القصر الصغير!

أحمد: إذن!

بو عمير: إذن ليس أمامنا إلا الهجوم الآن ... إن حضورهما قد قلب خطتنا رأسًا على عَقِب!

وبدأ الأشخاص الخمسة يقتربون من حيث قبع «أحمد» و«بو عمير» في الظلام وأطلق «بو عمير» صيحة البومة بطريقة يعرفها الشياطين ...

وعرف «عثمان» و«رشيد» أن زميليهما قريبان ... وتحفَّز الشياطين ... ثم اقترب الأشخاص الخمسة تمامًا من مكْمَن «أحمد» و«بو عمير» بحيث أصبحت سيقانهم أمام أيديهما مباشرة ... وأطلق «بو عمير» صيحة البومة مرة أخرى، ثم مدَّ يده وأمسك بساق الرجل الذي أمامه ثم جذبه بشدة أسقطه على الأرض ... وكذلك فعل «أحمد» بالرجل الثاني ... ولم تكن هناك مشكلة مع الرجل الثالث؛ فقد قفز عليه «عثمان» كالفهد، وشل حركته ثم ضربه ضربة ساحقة سقط على أثَرِها ساكنًا.

التقى الشياطين الأربعة لقاءً حارًّا ... وكان أول سؤال وجَّهه «أحمد» إلى «عثمان» هو: كيف وصلتما؟

ولكن «رشيد» هو الذي أجاب: لقد سقط منك الدبوس الماس في الغرفة، وعندما عدتُ إليها شاهدته يلمع في الظلام ... وعند حضور «عثمان» شرحت له الموقف، وقررنا أن ندعي أننا جئنا من طرف «يوجاراجا» أيضًا ... وأننا في حاجة إلى البضاعة ... وذهبنا إلى المحل في وسط المدينة، وأبرزنا الدبوس الماس ... وقد كان أكبر دليل على علاقتنا الطيبة بـ «يوجاراجا».

أحمد: وهكذا وصلتما!

عثمان: كيف تسير الأمور؟

أحمد: إننا نواجه عصابة من أخطر العصابات على الإطلاق ... ولست أُبالغ إذا قلت إنها عصابة من الشياطين ولكن ليس مثلنا ... إننا نبحث عن العدل، وهم يبحثون عن الشر!

بو عمير: هل معكما أية أسلحة؟

عثمان: كان هذا مستحيلًا!

أحمد: لنجرد هؤلاء الرجال الثلاثة من أسلحتهم ثم ننطلق.

عثمان: هل ثمة خطة معينة؟

أحمد: الحقيقة كل ما نبحث عنه هو طريق للإفلات من هذا السجن الجهنمي، ولكن الآن وأنتما معنا سنواجه العصابة.

رشيد: الخطة الوحيدة هي تدمير المكان!

أحمد: هذا صحيح ... سنشعل النار في الجزيرة كلها.

وانحنى الأربعة على الرجال الثلاثة ... كانوا مسلحين تسليحًا جيدًا ... كل منهم يحمل مدفعًا رشاشًا من طراز حديث، وخِنجرًا طويلًا يكفي لذبح فيل ...

وتم تجريد الرجال الثلاثة من أسلحتهم ... ثم انطلق الأربعة في اتجاه المطار بعد أن أخفوا اليخت بين الأعشاب، فقد يحتاجون إليه.

وصل الشياطين قريبًا من المطار ... وكانت هناك طائرتان ... طائرة صغيرة من طراز «جيت ستار» ذات الأربعة محركات ... وطائرة هليوكبتر ضخمة تشبه القلعة.

ولاحظ الشياطين أشباحًا تتحرك حول الطائرتين ... كان هناك حارسان ... وسمعوا حوارهما وهما يتحدثان ... وتوزَّع الشياطين الأربعة حول المكان ... ثم أخذوا يطبقون على الحارسين كالكماشة ... وعندما اقتربوا تمامًا من الحارسين استخدم «بو عمير» مدفعه الرشاش وضرب الحارس الأول ضربة قوية، وكذلك فعل «رشيد» بالحارس الثاني ... واستولوا على مزيد من الأسلحة ثم قفز «بو عمير» إلى الطائرة واستولى على المفاتيح ... وكذلك فعل «رشيد» بالطائرة الثانية.

وفجأة سمعوا زمجرة النمور قريبة منهم ... صوتٌ مرعب كأنه هدير البحر ... وأسرعوا يختبئون ... ولكن النمور تستطيع أن تشُمَّ رائحة الإنسان في أي مكان ...

وهكذا سمعوا صوت أقدامها الثقيلة وهي تكسر أغصان الأشجار والأعشاب الجافة ... وصوت حارس يستحثها على السير ...

واختبأ الشياطين كل منهم خلف شجرة، وقد أعد كل منهم مدفعه الرشاش، وظهرت النمور بعد قليل عند حافة المطار ... كانت أربعة ... ومعهم رجلان.

وهمس «أحمد»: إنني آسف من أجل هذه الحيوانات ... فلا ذنب لها فيما يحدث!

بو عمير: لو كانت الفيلة قريبة لأطلقناها عليها ... فالفيل لا يحب النمر، ويهاجمه حينما وجده!

أحمد: لا أدري أين الفيلة الآن ... وعلى كل حالٍ، لن نطلق النار إلا إذا هوجمنا!

ولم يكن هناك أدنى شك في أن النمور الأربعة تعرف طريقها إليهم ... فقد كانت تتقدم بثبات على أرض المطار في اتجاههم تمامًا ...

ارتكز الأربعة على رُكبهم ... وسدَّدوا الرشاشات إلى النمور أولًا ... وأخذت المسافة تضيق وتضيق ... ثم تسارع وَقْع أقدام النمور ... وأطلق لها الحراس العنان، وارتفع زئيرها المدوِّي يهز صمت الليل ... وقفزت النمور الأربعة في اتجاه الشياطين ... وانطلقت المدافع الرشاشة في نفس الوقت ... وارتفعت صيحات الألم من النمور المسكينة، وهي

تتلقى الرصاصات القاتلة ... واستطاع نمر منها أن يصل إلى قرب «عثمان» ... كان نمرًا جريحًا لم تُصبه رصاصة قاتلة ... والنمر الجريح هو أخطر الحيوانات على الأرض ... وكانت لحظة رهيبة.

صراع لا ينتهي!

قفز النمر الجريح على «عثمان» واستطاع «عثمان» في قفزة خاطفة أن يتدحرج بعيدًا عن الوحش الجريح ... ودبَّ الاضطراب بين الشياطين الأربعة، كان الظلام الكثيف يجعل الرؤية متعذِّرة داخل الغابة، وأية طلقة طائشة قد تؤدي إلى مصرع أحدهم.

قفزوا جميعًا خارج الغابة إلى أرض المطار المكشوفة، وكان مدرِّبًا النمور في انتظارهم ... وأصبحوا محاصَرين بين النمر الذي كان يصرخ بوحشية وبين المدربَين ... وارتمى «رشيد» على الأرض، وأطلق دَفعة من مدفعه الرشاش على المدربين ... فسقط أحدهما بينما أطلق آخر ساقيه للريح ...

وقفوا جميعًا وقال «أحمد»: الموقف عصيب ... يجب أن نبدأ فورًا في العمل ... إنهم الآن سينطلقون في آثارنا ... الرجال ... والنمور ... والفيلة ...

عثمان: لماذا لا نهاجم «رام» مباشرة ... إذا استطعنا أن نجعله أسيرنا، فسوف نسيطر على الموقف.

أحمد: أوافق ... ولكن يجب أولًا تدمير الجزيرة ... إن ترك الجزيرة كما هي معناه استمرار عمليات استخراج الهيروين ... على الأقل يجب أن يظل العالم فترة من الوقت في راحة من هذه السموم.

رشيد: ننقسم إلى قسمين ... قسم يهاجم مقر الزعيم ... والقسم الثاني يقوم بعملية التدمير ونلتقي في المطار.

عثمان: ولكن ليس معنا مفرقعات!

أحمد: في المعامل كميات كبيرة من البنزين وأسطوانات الغاز ... يمكن استخدامها لهذا الغرض.

قرَّر الشياطين أن يتَّجه «أحمد» و«عثمان» للهجوم على الزعيم ومحاولة أَسْرِه، وأن يقوم «رشيد» و«بو عمير» بعملية التدمير!

اتجه «أحمد» و«عثمان» إلى مقر الزعيم ... وفي هذه المرة اخترقا الغابة ... فقد أصبح الشياطين الآن أعداءً واضحين للزعيم «رام» ... وعصابته كلها ...

سار «أحمد» و«عثمان» بسرعة ... كان الظلام كثيفًا، ولكن قمرًا صغيرًا برز في السماء، أضاء بعض الطريق ... وعندما اقتربا من القصر سمعا صوت ضوضاء يرتفع من هنا وهناك ... وعندما اقتربا أكثر وجدا أكثر من عشرين رجلًا مسلحًا يستعدون لتمشيط الغابة بحثًا عنهم!

انتظر «أحمد» و«عثمان» لحظات حتى تفرَّق الرجال في اتجاه الغابة ثم اقتربا من القصر ... كان هناك ثلاثة حراس عند الباب الرئيسي، معهم ثلاثة نمور ضخمة بشكل مخيف، وكان الثلاثة يسيرون في خطوط متقطعة ... وراقبهم «أحمد» و«عثمان»، لحظات وقرَّر أن يقوم «عثمان» باصطيادهم واحدًا واحدًا بواسطة كرته الجهنمية ...

وانتظر «عثمان» حتى ابتعد كل منهم عن نقطة التقاطع، ثم أطلق كرته على رأس أحدهم فترنَّح وسقط ... وأخذ النمر ينظر حوله ثم يتشَمَّم الرجل النائم ... ثم سحبه بعيدًا داخل الغابة، ابتسم «عثمان» وهو يقول: إن النمور تعمل معنا!

ظهر الحارسان الآخران عند نقطة الالتقاء، وتحادثا بشكلٍ سريع، فقد اكتشفا غياب زميلهما الثالث ... واتجه أحدهما إلى طرف الغابة حيث كان يرتفع صوت النمر ... وأطلق «عثمان» كرته الجهنمية مرة أخرى وسقط الرجل عند طرف الغابة ... وأخذ النمر ينظر حوله كما فعل زميله ثم جر الرجل هو الآخر إلى داخل الغابة!

ظهر الحارس الثالث وهو في حالة ذهول ... وأخذ يجري والنمر أمامه في جميع الاتجاهات ... وعندما اقترب من مَكْمن «عثمان» و«أحمد» ... عالجه «أحمد» بضربة هائلة من مدفعه الرشاش فسقط على الأرض ... ولأن النمر كان مقيدًا إلى يده بسلسلة كما كان حال النمرين السابقين فإن النمر فعل ما فعله النمران الآخران ... سحب الرجل إلى داخل الغابة!

قال «أحمد»: إنني ما زلت آسفًا على قتل النمور!

عثمان: إنها حيوانات رائعة ... ولكن ما العمل؟!

اقتربا من الباب ... كان مغلقًا، مد «عثمان» يده وأدار المقبض ... انفتح الباب ... اجتازا المدخل في هدوء ... لم يكن هناك أحد!

فجأة سمع «أحمد» صوت أقدام سريعة، وقبل أن يتمكَّن من تحديد مكانها ظهر عملاق عاري الصدر يُمسك بيده سيفًا قاطعًا ... وظهر رجل آخر رفيع كأنه عصاة، يضع على صدره كيسًا من القماش تبرز منه أنبوبة من البوص.

وأدرك «أحمد» كما أدرك «عثمان» أن هذا الرجل يستخدم السهام المسمومة ... وفعلًا عند هجوم العملاق بالسيف وضع الرجل الرفيع أنبوبته في فمه ... ولكن قبل أن يطلق سهمه القاتل كان «عثمان» قد قفز عليه ... لقد كان في استطاعتهما قتل الرجلين بالمدافع الرشاشة ... ولكنهما لم يريدا إحداث ضجة ...

تولَّى «أحمد» أمر العملاق الذي هوى بسيفه على رأس «أحمد»، ولكن «أحمد» تلقَّى الضربة على المدفع فانكسر السيف، واهتز «أحمد» بشدة، ولكن ضرَبه ضربة موجعة أصابت العملاق الذي انكفأ إلى الأمام فعالجه «أحمد» بضربة أخرى فانكفأ إلى الخلف وسقط على الأرض ...

وكان «عثمان» قد أمسك بالرجل النحيف وضرَبه ضربة هائلة ألقته على الأرض جثة هامدة لا حراك فيها ...

بعد ذلك اتجها إلى الغرفة الكبرى التي كانت بعيدة عن الصالة، وبهدوء وثقة أدار «أحمد» مقبض الباب ... وفي مواجهته مباشرة، كان الزعيم الهندي المخيف يجلس على مكتب ضخم ... وقد فتَح بجواره خزانة تبرق فيها مئات من قطع الماس ... بينما كان يضع أمامه حقيبة ضخمة ينقل إليها الماس ... وعندما شاهد «أحمد» تجمَّدت حركته كأنما أصابه شلل مفاجئ، ولكنه في نفس الوقت ضغط بقدمه على زرٍّ صغير فانطفأ نور الغرفة، وانتشرت رائحة واضحة هي رائحة مخدِّر قوي ...

أطلق «أحمد» دفعة من مدفعه الرشاش ... ولكن «رام» كان سريع الحركة؛ فقد ألقى نفسه على الأرض ... ثم زحف للخروج من الباب الخلفي!

بحث «عثمان» عن مفتاح النور وأضاءه ... كان المكان خاليًا من «رام» ... والباب الخلفي مفتوح ... أسرع «أحمد» خلفه، ولكنه فوجئ بفيلٍ ضخم يسُدُّ الطريق ويهزُّ خرطومه في وجهه، بينما أطلق شخص ما النيران على «أحمد» الذي عاد إلى الغرفة، وأغلق الباب.

عثمان: هرب؟

أحمد: نعم ...

عثمان: إن هذا يزيد الأمر خطورةً!

أحمد: إنه لم يبتعد ... هيا بنا.

خرجا بسرعة من الباب الأمامي، ووجدا أمامهما فيلًا آخر ...

قال «أحمد»: اقفز!

قفزا معًا فوق الفيل، وضرب «أحمد» الفيل برِقَّة خلف أُذنه كما شاهد الهنود يفعلون، ومشى الفيل مُسرعًا في الاتجاه الذي حدده «أحمد» وعلى ضوء القمر الصغير استطاعا أن يشاهدا فيلًا يسبقهما على مسافة بعيدة ... ثم اختفى الفيل في أحشاء الغابة المظلمة.

صراع في الجو!

كانت المطاردة في الغابة بين «أحمد» و«عثمان» خلف «رام» تتَّسم بالخطر الشديد ... فمن الممكن إطلاق الأسهم السامة عليهما، ولكن ما تصوراه لم يكن ما حدَث ...

فعند نقطة معينة من الغابة، ظهر بناء ضخم لم يرَه الأصدقاء من قبلُ ... إنه معبد هندي، وكان واضحًا أن «رام» يتَّجه إليه ... وكان المبنى الرابض في الظلام يشبه قلعة حصينة ... ومن المستحيل على «أحمد» و«عثمان» اقتحامه، وكان عليهما أن يصلا إلى «رام» قبل أن يصل إلى المعبد ...

ولكن، فجأة اختفى الفيل الذي يركبه «رام» ... اختفى في الظلام وأخذ «أحمد» يحث الفيل الذي يركبه حتى وصلا إلى قُرب المعبد ... ولكن لم يكن هناك أثر للزعيم.

نزل «أحمد» و«عثمان» واقتربا من المعبد ... وكانت المشاعل التي تضيء المكان تبعث الرهبَة في القلوب ... ولم يكن هناك أحدٌ على الإطلاق ...

دخل الصديقان المعبد ... سارا ينظران حولهما ... ولكن لم يكن هناك أثَر لـ «رام» أو أي شخص آخر ...

قال «عثمان»: أين اختفى؟!

أحمد: شيءٌ مُدهش ... لقد اختفى فجأة، وكأن الأرض انشقت وابتلعته!

عثمان: والفيل؟!

وسمعا في هذه اللحظة صوتَ أقدام عارية تمشي على بلاط المعبد ... وشاهدا فتاة صغيرة تجري في اتجاههما وقد بدا عليها الفزع.

أخذت الفتاة تتحدَّث إليهما دون أن يفهما شيئًا، ولكن استطاعا أن يُدركا أنها تستغيث بهما؛ فسارا خلفها ... مشت في دِهْليزٍ تنطلق منه رائحة البخور ... ثم اتجهت

إلى باب ضخم، أخذت تحاول فتحه فتقدَّم «أحمد» وفتحه، وعلى الفور شاهد شيئًا مثيرًا لم يسبق له أن رآه …

كانت هناك عشرات الأفاعي الضخمة تتحرك على ضوء المشاعل … ولاحظا أن ثمةَ رجلًا تفتك به الأفاعي الرهيبة، وأن مقاومته تلاشت وأخذت الفتاة تبكي وتولول … وأطلق «أحمد» مجموعة من الطلقات من مدفعه الرشاش على الأفاعي …

كان يعرف أنه لا أمل فيه … وأن الأفاعي قد فتكت بالرجل … بينما قام «عثمان» بسحب الفتاة بعيدًا عن المشهد … ومع إطلاق الرصاص ظهرت فتحة في السور الذي يحيط بالمكان وظهرت فوهة مدفع رشاش … وأطلق «أحمد» مدفعه في هذا الاتجاه ثم انسحب على الفور.

أخذت الفتاة تشيرُ إليهما فتبعاها … ومرت من باب ضيق إلى دِهْليز متَّسع، تضيئه المشاعل أيضًا … وكان الدهليز ينحدر بشدة إلى أسفل … ونزلوا معها … وفي نهاية الدهليز وجدوا معبدًا صغيرًا تزينه مئات القطع من الجواهر والتماثيل المصنوعة من الذهب الخالص … وأشارت الفتاة عدة إشارات، فَهِم منها الصديقان أن هناك من حاول سرقة الجواهر …

وقال «عثمان»: في الأغلب أن الرجل الذي فتَكَت به الأفاعي هو حارس المعبد، وأن هذه الفتاة ابنته … وأن أحدهم كان يحاول سرقة المعبد، فلما قاومه الحارس ألقاه إلى الأفاعي القاتلة!

وسبقتهما الفتاة إلى باب في الجانب الآخر، خرجا منه إلى حظيرة ضخمة تغطيها النباتات، وشاهدا مجموعة من الفِيَلة المزركشة، وعرفا أن «رام» اختفى هو وفيله في هذا المكان.

وفكَّر «عثمان» لحظات ثم قال: تعالَ نُطلِق هذه الفيلة … ستثير الاضطراب في كل مكان … وقد يظهر «رام» في هذه الفوضى.

وأشار «أحمد» إلى الفتاة، وقاموا بفتح الأبواب وإطلاق الفيلة التي خرجت تجري وهي تصيح بعد أسرها الطويل!

وفجأة سمعوا صوت انفجارات مدوِّية تأتي من أماكن مختلفة من الجزيرة وعرف «أحمد» و«عثمان» أن «رشيد» و«بو عمير» قد نجحا في المهمة، أخذا الفتاة معهما، وركبوا أقرب فيلٍ … ولكنهم لم يكادوا يبدءوا السير حتى سمعوا صوت رصاصة تئز … ثم ظهر «رام» الذي كان يراقب ما يحدث من مَكْمنه … صاح في وحشية: سأقتلكم جميعًا … سألقي بكم إلى الحيات المقدسة!

واختفى ...

ولكن «عثمان» كان قد قفز إلى الأرض ... واستطاع أن يلحقَ به ... وعندما وصل «أحمد» إليهما كان «رام» يمسك خِنجرًا يحاول أن يطعنَ به «عثمان» ... وأطلق «أحمد» عليه طلقة واحدة أصابته في ذراعه ... فهوى إلى الأرض صارخًا.

عندئذ أرْكَباهُ فيلًا رغمًا عنه ... وركبا فيلًا آخر خلفه ومعهما الفتاة الصغيرة ... واتجهوا جميعًا إلى المطار ... كانت الحرائق قد شبَّت في كل مكانٍ ... وتحوَّلت الغابة السوداء إلى غابة حمراء ... واقتربوا من المطار ... وكم كانت دهشتهم عندما فوجئوا بالطائرة الهليوكبتر تُحلِّق فوقهم ... وظن «أحمد» و«عثمان» أن «رشيد» و«بو عمير» يركبانها ... ولكن اقتربت الطائرة وتدلَّى منها حبل فوق «رام» الذي تعلق به سريعًا، ثم انطلقت الطائرة قبل أن تُصيبها طلقات المدافع.

أسرع الصديقان والفتاة إلى الطائرة الأخرى ... كان في انتظارهم «بو عمير» و«رشيد»؛ فقفزوا جميعًا إلى الطائرة ... وجرت على المدرَّج بسرعة بقيادة «بو عمير» ثم حلَّقت في الفضاء قبل أن تنفجر النيران في المطار ...

استطاعوا أن يشاهدوا الطائرة الهليوكبتر وهي تطير في اتجاه جنوب الجزيرة ... وانطلق خلفها «بو عمير» ... كانت طائرتهم صغيرة، ولكن سريعة الحركة، ولكن قائد الهليوكبتر كان شديد الذكاء ... لقد كان يطير على ارتفاع منخفض فوق أشجار الغابة ... ولم يكن في إمكان «بو عمير» أن يفعل مثله ... ولكن ما حدث بعد ذلك كان مدهشًا لقد اختفت الطائرة الهليوكبتر تمامًا ...

أخذت طائرة الشياطين تحلِّق فوق الغابة. كان كل شيء واضحًا على ضوء النيران المشتعلة ... وكانت الأفيال تجري في كل مكان ... والنمور الهائجة تنطلق على غير هُدًى ...

وقال «أحمد»: اتَّجِه إلى الشاطئ.

وأسرعت الطائرة إلى الشاطئ ... إلى مرسى اليخوت ... وصح استنتاج «أحمد» كانت الطائرة الهليوكبتر قد نزلت عند مرسى اليخت ...

ولكن المفاجأة، التي قابلت «رام» ومن معه أن الشياطين كانوا قد أخفوا اليخت بعيدًا عن الشاطئ ... واضطر «رام» ومن معه للعودة إلى الهليوكبتر ... ولكن «بو عمير» انقض بطائرته عليها ...

وفتح «أحمد» النافذة، وأخذ يطلق رصاص مدفعه الرشاش عليها ... ولكن الطائرة استطاعت التحليق ... ثم اتجهت إلى المحيط مُبتعدة عن الشاطئ ... وكانت فرصة ... هبط «بو عمير» بالطائرة إلى قرب سطح الماء ... وأصبح في أعقاب الهليوكبتر ...

ثم فجأةً صعد فوقها مباشرة ... وأطلق «أحمد» مدفعه الرشاش على المروحة مباشرة ... وترنَّحت الطائرة كوحش خرافي ثم أخذت تهبط تدريجيًّا. وبعد لحظات شاهدها الشياطين وهي تسقط في مياه المحيط، وتختفي عن الأنظار ...

هنـــداوي